قال ميّــارة:

{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3]

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

الحمد لله مرشدِ هذه الأمّة لِـما اختار لـها من الإيمان والإسلام شرعة ومنهاجا، معينِ من أراد بـه خـيرا على فهم قواعدهما وحفظ فروعهما حتى امتزجت بلحومهم ودمائهم امتزاجا، فـانتفعوا بمعرفـة ضروري علم دينم ونفعوا به من الخلق أفرادا وأزواجا، نحمده ونشكره على نعمه التـي لا نحصـيها وكيـف يُحصَىـ البحرُ سيّاحا والقطرُ ثجّاجا، ونسعينه ونستغفره لذنوبنا التي ارتكبنا انحرافا واعوجاجا، ونؤمن به وتوكل عليه افتقارا إليه واحتياجا، ونبرأ من الحول والقوة إليه براءة نجدها سرورا وابتهاجا، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا التي صيّرت حلونا مرّا وعذبنا أُجّاجا، من يهده الله فلا مضل ل ومن يضلل فلن تجد لداء ضلاله علاجا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمتـزج بـالروح والضـلوع امتزاجـا، وتكون لكل خير سلّما ومعراجا، ونشهد أن سيدنا ونبيّنا ومولانا محمّدا عبده ورسـوله الـذي أطلعـه الله في ظلمات الشرك سراجا، وأمره بمحاربة أهل الكفر حتى دخلوا في ديـن الله أفواجـا، صـلى الله عليـه وسـلم وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا دينه وأذاعوه فصار سراجا وهّاجا، صـلاة وتسـليما نسـتمطر بهـما العفـو ونستنتج الغفران استنتاجا.

وبعد: فيقول أفقرُ العبيد إلى مولاه، وأحوجُهم إلى فضله ونعماه، الغنيُّ به عمّـن سـواه، عبيـدُ الله تعـالى وأقلّ العبيد، طالبا من مولاه التوفيق بمنّه والتسديد، محمّد بنُ أحمد بنِ محمّـد الفـاسيّ أصـلا ودارا ومنشـأ الشهير بميّاره، سدّد الله رأيه وأنظاره، وستر عيوبه وغفر أوزاره.

قد كنت قبلُ بمدّة وضعت على النظم المسمّى بـ(المرشد المعين على الضروريّ من علـوم الـدين) تـأليف شيخنا الإمام العالم العلامة الحاج الأبرّ أبي محمّد سيدي عبد الواحد ابن عاشر الأندلسيّ ثمّ الفاسيّ رحمه الله ونفع به. شرحا يحلّ ألفاظه ويظهر معانيه، ويقرّب قاصيه، ويبسط دانيه، ويستدرك مـا تتأكّـد معرفتـه مـن

الضوابط والقواعد، وما لا بدّ منه من النظائر والفروع الغريبة، سمّيته بـ(الدرّ الثمين والمورد المعين على الضروريّ من علوم الدين).

فلمّا أكملته وأخرجته من مبيّضته وجدته لطوله غير مناسب لمشروحه ولا جارٍ على طريقته، فهممت باختصاره واقتطاف أنواره؛ كي يناسب المشروح، وتغتبطه من كلّ قارئ لأصله النفس والروح.

فلم تزل مؤن الدهر عنه تصرفني، والأمل يسوّفني، حتّى منّ ذو العظمة والجلال، الكريم المتفضّل المتعال، بزيارة الوليّ الصالح، العالم العامل السائح، قطب الزمان، وكهف الأمان، المجاهد في سبيل ربّ العالمين، المرابط في الثغور مدّة عمره لحياطة المسلمين، ذو الكرامات العديدة، والفتوحات العظيمة الحميدة، من لا شبيه له في عصره وما قرب منه ولا نظير، ولا معي له على نصرة الإسلام ولا نصير إلا الله الذي تفضّل به علينا، وأقرّه بمنّه وجوده بين أظهرنا، فهو كما قيل:

حلف الزمان لَيَاتِيَنّ بمثله * حنثت يمينك يا زما فكَفِّرِ

البركة القدوة المجاب الدعوة أبو عبد الله سيدي محمّد بن أحمد العيّاشي أبقى الله بركته، وعظّم حرمته، وبلّغه من خير الدارين أمنيته، وأطال للمسلمين عمره وقوّاه، وجعل الجنّة نزله ومأواه، مع جماعة من الأعيان السادات، من الشرفاء والفقهاء والقادات، وذلك أواسط الحجّة الحرام متمّ سبعة وأربعين وألف عام وهو -رزقنا الله رضاه- بثغر سلا أمّنها الله من كلّ مكروه وبلا.

فاجتمعتُ إذ ذاك بنجله السعيد، الموفّق الرشيد، العالم الهمام، حجّة الله في الإسلام، ذي العقل الراجح، والهدي الواضح، عهود من الآباء، توارثتها الأبناء، المتواضع الخاشع، صاحب القلم البارع، سيدي وسندي أبي محمّد سيدي عبد الله، سلّمه الله من كلّ مكروه ووقاه، فحضّني حفظه الله على اختصار الشرح المذكور، بعد أن طالع جلّه وسُرّ به كلّ السرور، وحثّ عليّ في تقديم ذلك على جميع الأمور.

فلمّا قفلت من وجهتي شرعت في ذلك تاركا للتسويف، طالبا من المولى سبحانه السلامة من الخطأ والتحريف، مقتصرا فيه على حلّ الألفاظ وبيان المعنى، محيلا على الشرح المذكور فيما يطول ذكره ممّا له تعلّق بذلك المبنى.

والله أسأل أن ينفع به وبأصله النفع العميم، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، ومن الأعمال التي لا تنقطع بالموت، ولا تعْقُبُ صاحبَها حسرةُ الفوت، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

قال الناظم -رحمه الله-:

يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِدِ[1] بِنُ عَاشِرِ ... مُبْتَدِئاً بِاسْمِ الإِلَهِ الْقَادِرِ

أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَنَا ... مِنَ الْعُلُومِ مَا بِهِ كَلَّفَنَا

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدِ ... وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالْمُقْتَدِي

(1) قال ابن حمدون (ابن الحاج): {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه وسلّم)

قوله: (يقول عبد الواحد) الخ... مضارع للحال، ومحكيُّه: (الحمد لله) إلى آخر الرجز، فمجموع تلك الجمل في موضع نصب على المفعوليّة لـ(يقول)، فيكون الكتاب كلّه جملة واحدة؛ لأنّ المحكيّ في قوّة المفرد.

فإن قلت: كون الناظم قائلا لهذا النظم في حال إخباره بأنه قائل له متنافيان؛ لأدائه إلى اجتماع تكلّمه بالحكاية في آن واحد، وذلك محال؛ لاستحالة اجتماع المثلين، كاستحالة اجتماع الضدّيْن.

أجيب: بأنه يمكن أن يكون زوّر النظم في نفسه ورتّبه وتكلّم به كلاما نفسيًّا، ثمّ أخبر بلسانه بأنه قائل له في نفسه حال الإخبار، فحصل بحكايته له وإخباره بلسانه إبرازه للعيان.

والأصل: (أقول) على أنّ الفاعل ضمير المتكلّم، فعدل إلى الظاهر ليعرفه من يقف على كتابه بعدُ، فإنّ الضمير إنّما يفيد تعيين مسمّاه عند حضوره.

ويحتمل أن يكون المضارع بمعنى الماضي، باء على تأخّر نظم هذا البيت على نظم ما بعده، أعني قوله: (الحَمْدُ للهِ الذِي عَلَّمَنَا) إلى آخر الرّجز، وعدل عن الماضي إلى المضارع؛ لإحضار صورة قائليّته لهذا النظم العجيب، إذ هو علم غزير في لفظ يسير.

ولا يجوز كون المضارع للاستقبال؛ لتوقّف الصّدق حينئذ على أن يعيد قوله: (الحَمْدُ للهِ) إلى آخر النظم مرّة أخرى بعد الفراغ، كما لا يخفى، وظاهر أنّ ذلك ممّا لا وجه له.

بدأ رحمه الله بتسمية نفسه؛ لأنّ معرفة مؤلّف الكتاب من مهمّات الأمور؛ لِـمَا عُلم أنّ العمل والفتوى من الكتب التي جُهل مؤلّفوها ولم يُعلم صحّةُ ما فيها لا يجوز[1].

وهو رحمه الله عبد الواحد بنُ أحمد بنِ علي بنِ عاشر الأنصاريّ نسبًا[2] الأندلسيّ أصلا[3]، الفاسيّ منشأ ودارا.

---

(1) قول م: (ولم يُعلم صحّةُ ما فيها) أي: وأمّا ما عُلم صحّةُ ما فيه فيجوز العمل به وإن جُهل مؤلّفه، وكذا إن عُلم مؤلّفه ولم يُعلم صحّةُ ما فيه وكان ممّن يوثق به. نصّ عليه القرافيّ ونقله في ك.

وقال الشيخ سيدي عبد الرحمن الفاسي في نوازله ما نصّه: أفتى أئمّة المذهب كالقابسيّ واللخميّ وابن رشد بأنّه لا تجوز الفتوى من الكتب المشهورة ممّن لا يقرؤها عن الشيوخ فضلا عن الغريبة اهـ. ولله درّ أبي حيّان إذ يقول:

يَظُنُّ الغُمْرُ أَنَّ الكُتْبَ تَهْدِي ... أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ العُلُومِ
وَمَا يَدْرِي الجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ... غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهِيمِ
إِذَا رُمْتَ العُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ
وَتَلْتَبِسُ العُلُومُ عَلَيْكَ حَتَّى ... تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُومَا الحَكِيمِ

(2) قوله: (الأنصاريّ) نسبة إلى الأنصار الأوس والخزرج، وهم من عرب اليمن القحطانية، وليسوا من ولد إسماعيل على الصحيح.

(3) قوله: (الأندلسيّ) نسبة إلى الأندلس قطر معروف، طيّب التربة، قليل الهوام، معتدل الهواء، كثير الفواكه، يقابل ثغر طنجة، ويتّصل بابَرّ من جهة الشام، يشقّه أربعون نهرا كبارا، وبها من قواعد المدن نحو الثمانين، وأزيد من ثلاثمائة مدينة متوسّطة، والقرى والحصون لا تُحصى، وليس في المعمورة ما يقطع المسافرُ ثلاث مدن وأربعا في اليوم إلا بها، ولا يسير المسافر فيها فرسخين دون ماء أصلا، قوي بها أمر المسلمين حتى كان العدوّ لا يقدر أن يطمع لهم في كُراع الشاة، بل يخاف ويتطلّب الأمن جهده، ثمّ وقع الاختلاف بين المسلمين، وجعل بعضهم يوهّن بعضا بالفتن، حتى استولى العدوّ على جميعها في حدود الألف.

وكان سلف الناظم من جملة من خرج منه إلى المغرب طلبا للأمن على أنفسهم ودينهم، وكذلك سلفنا نحن معشر بني الحاج السُّلَمِيِّين القاطنين بفاس وتطوان، رحم الله الجميع.

كان رحمه الله عالـمـا[1]، عاملا[2]، عابدا، متفنّنا في علوم شتّى، له معرفة بالراءات وتوجيهها، وبالنحو، والتفسير، والإعراب، والرسم، والضبط، وعلم الكلام، والأصول، والفقه، والتوقيت، والتعديل، والحساب، والفرائض، والمطق، والبيان، والعروض، والطبّ، وغيرِ ذلك.

---

(1) قوله: (عالِـمـا) أي متّصفا بالعلم، وهو الإدراك أو الملكة أو القواعد، فله إطلاقاتٌ ثلاثٌ، المناسب منها هنا الأوّلان، والعالِمِ إنّما يُطلَق بلا قيد على من يعلم العلوم الشرعيّة: الفقه، والحديث، والتفسير، ولا بدّ في إطلاقه عليه أن يعلم من كل باب ما يهتدي به للباقي اهـ ولله درّ الشافعيّ في قوله:

لـن يبلُـغَ العلـمَ جميعـاً أحـدٌ   لا ولَـوْ حاوَلَـهُ ألـفَ سـنَهْ
إنّمـا العلْـمُ عَمِيـقٌ بحـرُهُ   فخـذوا مـن كـلّ شيءٍ أحسنه

وفي قوله: (لن يبلغ) خَزْمٌ بزيادة سبب خفيف.

(2) قوله: (عاملا) تأكيد لما قبله؛ لأنّه لا يقال عالم حقيقة إلا إذا كان عاملا، فغير الجاري على مقتضى علمه هو والجاهل سواء، قال:

وإذا الفَتَى قد نالَ عِلمًا ثُم لَمْ * يَعمل بهِ فكأنَّما لم يَعلَمِ

وفي الحديث: "من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم" اهـ

وحجّ، وجاهد، واعتكف، وكان يقوم من الليل ما شاء الله، قرأ على شيوخ عديدة[1]، وألّف تآليف مفيدة[2].

(1) قوله: (على شيوخ عديدة) من جملتهم: الشيخ سيدي محمد التجيبي الشهير بابن عزيز دفين درب الطويل بحضرة فاس، قاله في ك. وكان من الأولياء، وعلى يديه فتح على الناظم بسعة العلم.

وغالب من يشار إليه من علماء الظاهر ممّن له تميّز وشفوف ونبوغ في الحفظ والإتقان إنّما نال بمخالطة بعض العارفين، كابن شريح بمخالطة الجنيد، والعزّ بن عبد السلام بمخالطة أبي الحسن الشاذلي، والتقيّ ابن دقيق بمخالطة أبي العباس المرسي.

ومن جملتهم أيضا: الشيخ أبو عبد الله محمّد بن قاسم القيسيّ امعروف بالقصّار، ولمّا لقي الناظم في وجهته الحجازية الشيخ عبد الله الدنوشري وسأله عن أشياخه فذكر له القصّار من جملتهم أنشده:

قد حاك شُقّة العلوم أئمّة ... وكسوا بها بالفضل من هو عاري

رقّت حواشيها ورقّ طرازها ... لكنّها تحتاج للقصّار

ولقوّة اختصار عبارته لم يكن يحضر بمجلسه إلا الواحد والاثنان ممّن مارسه وعرف تحقيقه واختصاره. ولمّا توفّي بيعت تقاييده بوزنها ذهبا.

(2) قوله: (وألّف تآليف مفيدة) ناهيك منها بنظمه هذا (المرشد المعين على الضروريّ من علوم الدين) العديم المثال في الاختصار وجمع مهمات العلوم الثلاثة: العقائد، والفقه، والتصوّف، المتعلّقة بأقسام الدين الثلاثة: الإيمان، والإسلام، والإحسان، بحيث إن من اقتصر عليه فقد أدّى ما وجب عليه تعلّمه من العلم الواجب على الأعيان، وخرج من ربقة التقليد المختلف في إيمان صاحبه، وسيأتي في آخر النظم.

وفي الذي ذكرته كفاية، وفي مدحه قد قيل من أبيات ذكرت في ك:

عليك إذا رُمْتَ الهُدَى وطريقه ... وبالدِّين للمولى الكريم تَدِينُ

بحفظٍ لنظمٍ كالجُمان فصولُه ... وما هو إلا مرشدٌ ومعِينُ

توفّـي -رحمه الله- عشية يوم الخميس ثالث الحجة من عام أربعين وألف[1].

وإلـى سنة وفاته أشرت بالشين والميم بحساب الجُمَّل من قولنا في جملة أبيات في تواريخ وفـاة جملـة مـن شيوخنا رحمهم الله والإشارة إلى بعض صفاتهم.

وعاشرُ الـمبرورُ غزوًا وحجّةً *إمام التُّقى والعلمِ (شَمُّ) قرنفلِ[2]

انظر التّعريف به في الشرح الكبير.

و(ابنُ عاشر) بالرفع نعت لـ(عبد)[3].

(1) قوله: (توفي) الخ، أي: وهو ابن خمسين سة.

(2) قوله: (وعاشر) مبتدأ منوّن على حذف مضاف، أي: وابن عاشر، (شمُّ) خبر، أي توفّي في السنة المرموز لهـا بالشـين والميم من غير اعتبار التضعيف. وأحسن منه قول المكلاني:

وشمّ برق آفاق المعالي لعاشر * تجد محكما آي القران المنزل

إذ لا إيهام فيها.

(3) قوله: (نعت لعبد) صوابه: لـ(عبد الواحد)؛ لأنّ عبد إنّـما هو جزء علَم.

وتكتب (ابن) هنا بغير ألف الوصل؛ لوقوعه بين عَلَمَيْن(1)، لكن قال بعضهم: ما لم يقع أوّلَ السطر فيكتب حينئذ بالألف، وكذا إن أُعرِب بدلا، وعليه خُرّج إثباتها في (عِيسَى ابْن مَرْيَمَ).

---

(1) قوله: (ويكتب ابن هنا بغير ألف الوصل؛ لوقوعه بين علَميْن) نحوه قوله الكافية:

والابن يكتب بغير ألف * إن كان بين علَميْن فاعرف

وقيّده م بقيدين: الأوّل: أن يكون في غير أوّل السطر. الثاني: أن يكون صفة أيضا، بأن يكون صفة لعلَم مفرد، ومضافا لعلَم وكان مفردا مذكّرا.

وقول الشيخ الطيب: يشترط في العَلَم الثاني أن يكون أَبًا دَنِيّةً كمحمّد بن عبد الله، وإلا فتلحقه الألف كما هنا، أصله للزركشي في التنقيح.

قال القسطلانيّ في شرح البخاري: وتعقّبه في المصابيح بأنّه إذا وصف العلَم بابن متّصل مضاف إلى علَم كفى ذلك في إيجاب حذف الألف من ابن خطًّا، سواء كان العلَم الذي أضيف إليه ابن علَمًا لأبي الأوّل حقيقة أو لا، وهو ظاهر كلامهم، وكون الأب حقيقة لم أرهم تعرّضوا لاشتراطه، فلا أدري من أين أخذ الزركشيّ هذا الكلام اهـ

فخرج باشتراط كونه صفة ما كان خبرًا أو بدلا، نحو: كان زيدٌ ابنَ عمرو، وأنّ زيدًا ابنُ عمرو، ونحو: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْـمَسِيحُ ابْنُ اللهِ} [التوبة: 30]، فهو في هذه المواضع خبر، ونحو: {يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} [المائدة: 110]، [المائدة: 112]، [المائدة: 116]، فهو بدل؛ لأنّ (ابن مريم) جرى مجرى العلَم، فلذا لا يحتاج إلى جريه على موصوف، نحو: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ} [المؤمنون: 50].

وخرج به أيضا: ما لم يكن تابعا أصلا، نحو: جاء ابن زيد، ومنه: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ}.

وخرج باشتراط كونه في غير أول السطر: ما كان أوّلَه فيرسم بالألف. وبقولنا: (لعلَم) ما وصف به غيره، نحو: جاء الرجل ابن زيد. وبقولنا: (مضافًا لعلَم) ما أضيف لغيره.

قال ابن قتيبة: وإن نسبته إلى غير أبيه فقلت: جاءني محمد ابن أخي عبد الله، ألحقت فيه الألف. قال الشيخ أبو العباس الهلالي في فتح القدّوس: ولعلّ هذه العبارة هي التي غرّت من حمل الأب على الأب دنيّة، وليس بمراد له، وإنما مراده ما ظهر من تمثيله. ثم قال ابن قتيبة: وإن نسبته إلى لقب غلب عليه أو صنعة مشهورة قد عرف بها، كقولك: زيد بن القاضي، ومحمّد بن الأمير، لم يلحق الألف فيه؛ لأنّ ذلك يقوم مقام اسم الأب. وبقولنا: (وكان مفردا) ما كان مثنّى، نحو: زيد وعمرو ابنا عبد الله، فيرسم بها. وبقولنا: (مذكّرا) ما أنّث، نحو: هذه هند ابنة زيد فيرسم بالألف.

فإن كان العلَم الذي قبله منوّنا[1] حذف تنوينه[2]، كزيدِ بنِ عمرو.

(1) قوله: (قبله) أي قبل ابن الذي تحذف فيه الألف، وأما الواقع قبل ابن الذي ثبتت به فيثبت، قاله ابن قتيبة، وحذف التنوين من عزير لمانع الصرف وهو العلمية والعجمة، إذ هو أعجمي وإن كان موافقا لتصغير عزر.

(2) قوله: (حذف تنوينه) أي ولا يثبت إلا في الضرورة، كقوله:

جارية من قيسٍ بن ثعلبة * تزوّجت شيخا عظيم الرّقبة